منهج السلف في فهم النصوص

اعلم ـ رحمك الله ـ أن منهج السلف أعلم وأسلم وأحكم في الأمور كلها ومنها الصرع، فهم يسلمون على الحقيقة لما جاء في النصوص الصحيحة الصريحة من دون تأويل ولا تعطيل ولا تحريف.

وجاء في «طبقات الحنابلة» (١/١٨٥) و«المنهج الأحمد» (١/٢٩٧):

أن عبدالله ابن الإمام أحمد سأل إباه عن وجه التوفيق بين حديث تسلسل الشياطين في رمضان ورؤية المجنون يُصرع في رمضان؟!

فقال رحمه الله: «هكذا الحديثُ، ولا نتكلم في هذا». أي: نسلم تسليماً تاماً من غير إنكار.

وأما المعتزلة ومن سار على نهجهم «فإن الإسلام عندهم دينٌ يقومُ على العقل» كما ذكر ذلك الغزالي.

وما ذلك منهم إلا ليردّوا دلالات ما لم يعقلوه من نصوص الشريعة، بدعوى معارضتها للعقل أو عدم قبول العقل بها! فالعقل عندهم حاكم على الشرع! وهذا باطل إذ «تحكيم العقل في النقل من أهم مظاهر الانحراف».

حيث قال الشاطبي في الاعتصام (٢/٢٧٥): «إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري في إدراك جميع ما كان، وما يكون، وما لا يكون».

والعقل لا يُجْعَلُ حاكماً بإطلاق، وثبت عليه حاكمٌ بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب أن يُقدَّم ما حقه التقديم، وهو الشرع، ويؤخر ما حقه التأخير، وهو العقل.. لأنه لا يصحُّ تقديم الناقص حاكماً على الكامل، هو خلافُ المنقول والمعقول، بل ضد القضية هو الموافق للأدلة، وقد قيل: «اجعل الشرع في يمينك، والعقل في يسارك» تنبيهاً على تقديم النقل على العقل.

ومن هنا كان تقدم النقل على العقل، وكان على العقل ـ الذي شغل حيزاً كثيراً من الآيات بلغت بضعاً وأربعين، وصفت المؤمنين الذين آمنوا بربهم بأنهم عقلاء، يتدبرون آيات الله، ووصفت المنحرفين بأنهم قومٌ لا يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل أن يقرَّ بأن النقل شعاعٌ من نور الحق، يضيءُ للعقل أن ينظر ويرى.

ثم لا يخفى على العقلاء أن عقل الإنسان خاضع حسب ما يحيط به من معرفة وما ينهل من ثقافة مما أوجد في المجتمع الإسلامي عقولاً تهبط وتسمو وفق ما تعيه من قيم وما تؤمن به من رسالات، وما أثر عليها من ثقافة، فأي العقول يدعي الإنسان إلى عبادته والخضوع في هيكله وصومعته.

انظر: «مقام العقل في الفكر الإسلامي» (ص٢٨) ليوسف العظم.

و«الفكر الإسلام بين العقل والوحي» (ص٣٠) عبدالعال سالم مكرم.

ومن هنا تعلم كيف أتت عبارات «وهو مرفوض مهما كان سنده» للغزالي في مقدمة كتابه «فقه السنة».

ويقول العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى (ص٧٢) توضيحاً لحديث: «**إن الشيطان يجري من بني آدم...**»:

«والواجب إجراءُ الحديث على ظاهره، وعدم تأويله مما يخالف ظاهره؛ لأن الشياطين أجناس لا يعلمُ تفاصيل خلقتهم، وكيفية تسلطهم على بني آدم إلا الله سبحانه، فالمشروع لكل مسلم الاستعاذةُ به سبحانه من

شرهم، والاستقامة على الحق، واستعمال ما شرعه الله من الطاعات والأذكار والتعوذات الشرعية، وهو سبحانه الوافي والمعتزُ لمن استعاذ به ولجأ إليه، لا رب سواه ولا إله غيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله».